

الدرس الثالث والسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

قال الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه المعنون بـ«عمدة الأحكام» :

كتاب الجهاد

٤٠٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا أَنْتَظَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ ، فَقَالَ : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)) ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ)) .

قال المصنف الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى ((كِتَابُ الْجِهَادِ)) ؛ وهو كتابٌ عقده رحمه الله تعالى لبيان فضل الجهاد وعظيم ثوابه عند الله سبحانه وتعالى ، وما يترتب عليه من خيرات عظيمة وفضائل كريمة في الدنيا والآخرة ، وأيضا ما يتعلق بشيء من أحكام الجهاد في ضوء ما ساقه رحمه الله تعالى من أحاديث .

وقد أفرد الإمام عبد الغني رحمه الله تعالى رسالة بعنوان «فضل الجهاد» ، وأهل العلم رحمهم الله تعالى أيضا أفردوا الجهاد بمصنفات خاصة وهي كثيرة ، وأيضا ما من مصنف في السنة أو في بيان الأحكام إلا ويُعقد فيه كتاب خاص بالجهاد بيانا لفضائله وذكرًا لأحكامه واستدلالاته أيضا لمسائله .

والجهاد من فروض الكفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، إلا أنه يكون فرضاً عينياً في حالات ثلاثة :

■ الأولى: تلاقي الصفان صف المسلمين وصف الأعداء ؛ فلا يجوز التولي من الزحف أو يوم الزحف .

■ والحالة الثانية: إذا داهم العدو أرض قوم فإنه يتعين عليهم الدفاع عن أنفسهم وأعراضهم .

■ والحالة الثالثة إذا استنفر الإمام .

وإلا ما سوى ذلك فإنه من فروض الكفاية .

وأما فضل الجهاد فعظيم جدا ، وقد جاء فيه أحاديث كثيرة جدا ساق المصنف رحمه الله تعالى طرفا منها ؛ بدأها بحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ انْتَهَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ)) قوله «انْتَهَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ» الأولى أن يكون الجهاد في أول النهار فإن لم يتيسر ذلك فينتظر إلى ما بعد الزوال ، مثل ما فعل النبي عليه الصلاة والسلام قال انْتَهَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ ؛ وذلك أن هذا الوقت تتحرك فيه الرياح وتنشط فيه الأجسام ويبرد الجو ويكون أعون بإذن الله سبحانه وتعالى على تحقق النصر .

قال ((انْتَهَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ))
تمني لقاء العدو غالبًا يكون عن شيء من العُجب عُجب الإنسان بنفسه وعدته وقاتده وسلاحه فيعتر ، وهذا من موجبات الخذلان والهزيمة ، فلا يتمنى المرء لقاء العدو ولكن إذا بُلي يصبر ويثبّت ويسأل الله المعونة .

قال ((لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ)) وسؤال الله سبحانه وتعالى العافية هو من أجمع الدعاء وأعظمه، ولهذا جاء في حديث العباس عم النبي أنه طلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يعلمه دعاء يدعو الله به فقال ((سل الله العافية)) فكأنه تقال ذلك فجاء مرة أخرى إلى النبي عليه الصلاة والسلام وطلب من النبي أن يعلمه دعاء يدعو الله به فقال ((يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية)) ؛ فالعافية هذا مطلب عظيم ، ومن أوتي العافية فقد أوتي خيرًا عظيمًا ، ومن ما يتضمنه هذا الدعاء سؤال الله العافية أي من شر الأعداء وكيدهم وظلمهم وغشَمهم وعدوانهم .

قال ((وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا)) يعني إذا ابتلي المرء بلقاء الأعداء ومواجهة الأعداء فليصبر وليثبّت .

((وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)) وهذا فيه فضل الجهاد ومقابلة الأعداء .

قال ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)) المعنى أن الدنو من العدو كأنما يكون المرء تحت سيف عدوه ، فيكون هذا من أسباب الفوز بالجنة ، قال ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)) يعني تظلمهم سيوف العدو ثابتين لا يفرون ؛ فهذا من أسباب وموجبات دخول الجنة .

((ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ اهْزِمِهِمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)) ؛ هذه الدعوة دعوة عظيمة جداً وهي من أنسب بل أنسب الدعوات التي تقال في مثل هذا المقام «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ» هذه كلها توسلات إلى الله سبحانه وتعالى ؛ بإنزاله الكتاب هدى للمتقين وهداية للصراف المستقيم ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب أي أحزاب المتكاملة على المسلمين فهزيمتهم إنما هي بيد الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ١٠٠] ، هذه كلها توسلات إلى الله سبحانه وتعالى ، والمطلوب ((اهْزِمِهِمْ أَي الْأَعْدَاءِ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)) وهذا فيه أدب الدعاء وأنه ينبغي أن يكون بين يدي الدعاء حسن التوسل إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذه من أحسن الوسائل في هذا المقام ؛ التوسل إلى الله بإنزال الكتاب وإجراء السحاب وهزيمة الأحزاب وأن هذا كله بيد الله سبحانه وتعالى .

الحاصل أن هذا الحديث حديث عبد الله بن أبي أوفى حديث جامع اشتمل على فضل الجهاد وأسباب النصر والدعاء المناسب في هذا المقام اشتمل على معاني عظيمة جدا تتعلق بالجهاد .

قال رحمه الله تعالى :

٤٠٣ - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَالرُّوحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) .

ثم اورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) رباط يوم ؛ الرباط:

هو ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار ، الذي هو الحد الذي بين المؤمنين والكفار ملازمته والإقامة فيه لصد هجوم الأعداء ومنعهم من التسلل والدخول إلى أرض المسلمين للنكاية بهم أو الإضرار بهم ، فهذا هو الرباط وهو من باب الحماية حماية المسلمين والوقوف في الثغور رباطاً واحتساباً وطلباً لما عند الله سبحانه وتعالى .

فالرباط عمله عظيم جدا تجد الناس في ديارهم وفي بيوتهم في أمن وراحة وهؤلاء على الثغور يسهرون الليل ويراقبون المسارات والطرق ويتنبهون أن لا يتسلل أحد من الأعداء أو يدخلون بشيء من السلاح ، فوجود الرباط هذا فيه حماية عظيمة جدا لديار الإسلام ، ولهذا جاء الثواب العظيم للمرابطين في سبيل الله .

قال : ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) ينبغي أن نستحضر هنا أن المرابط مخاطر لأنه جالس على الحد على الثغر ، فيه مخاطرة بالنفس مخاطر بنفسه حماية لديار المسلمين ، فلما كان منه هذه المخاطرة العظيمة بالنفس حماية لديار الإسلام وحماية للمسلمين وصداً لكيد الكفار المعتدين نال هذا الثواب ؛ قال ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) ، فهذا فيه فضل الرباط وعظيم ثوابه عند الله .

((وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) والسوط هو الآلة التي يُضرب بها ، موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، وهذا فيه أن ثواب الجنة ثواب عظيم ولا يقارن بشيء من نعيم الدنيا ، لأن مثل ما في هذا الحديث موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، إذا كان هذا موضع السوط فكيف بالجنة كلها ونعيمها وملاذها وخيراتها وما أعد الله سبحانه وتعالى بها من المكرمات لأوليائه وعباده مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!! وهي باقية ؛ نعيمها أعظم وهي باقية ، ونعيم الدنيا أحقر وهي فانية ، وسبحان الله كيف يرضى الإنسان لنفسه بالنعيم الأحقر الفاني عن النعيم الأكمل الباقي !!

قال : ((وَالرُّوحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) الروحة: هي السير بعد الزوال ، والغدوة: في أول النهار ، والمراد بالروحة أي المرة الواحدة ، والغدوة أي المرة الواحدة ، الروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها .

فهذا الحديث فيه عظيم فضل الجهاد وعظيم ثوابه عند الله سبحانه وتعالى ، وأيضا فيه عظيم نعيم الجنة وأن الجنة دار النعيم أعد الله سبحانه وتعالى فيها لعباده ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

قال رحمه الله تعالى :

٤٠٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((انْتَدَبَ اللَّهُ - وَلِمُسْلِمٍ: تَضَمَّنَ اللَّهُ- لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي وَإِيمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ رَسُولِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ)).

وَلِمُسْلِمٍ: ((مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ)).

ثم اورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((انْتَدَبَ اللَّهُ، وَلِمُسْلِمٍ: تَضَمَّنَ اللَّهُ)) وفي بعض الروايات في الصحيحين ((تكفل الله)) ، وأيضا في بعض الروايات ((توكل الله)) وكلها بمعنى واحد .

((انْتَدَبَ اللَّهُ، وَلِمُسْلِمٍ: تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي وَإِيمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ رَسُولِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ)) هذا ضمان من رب العالمين سبحانه وتعالى

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]

، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] سبحانه وتعالى ؛ هذا ضمان من الله عز وجل

للمجاهد في سبيل الله الذي خرج في سبيل الله لا يخرج به إلا الجهاد في سبيل الله ؛ هذا شرط الإخلاص ، والله سبحانه وتعالى لا يقبل الجهاد ولا غيره من الأعمال إلا بالإخلاص ، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : ((أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ)).

((وإيماناً بي)) وهذا أيضا ضابط في قبول الأعمال ؛ أن تكون قائمة على الإيمان ، بل إن كل عمل من الأعمال لا يصح إلا إذا كان قائما على الإيمان ، فما لم يكن العمل قائما على الإيمان لا يقبله الله لا جهاد ولا غيره ، فهذا أصل تقوم عليه العبادات ويقوم الدين كله عليه .
والأمر الثالث ((وتصديق رسولي)) عليه الصلاة والسلام أي بما جاء عنه ، وهذا فيه أيضا تنبيه على الاتباع ولزوم الهدي .

فهذه ثلاثة أمور تترتب عليها قبول الجهاد بل يترتب أيضا عليها قبول الأعمال الأخرى ، وقد جمعت هذه الأمور الثلاثة في قول الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) ﴾ ، لا يكون السعي مشكورًا إلا إذا قام على الإخلاص ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴾ هذا الإخلاص ، ﴿ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾ هذا الاتباع ، ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ هذا الإيمان الذي هو الأصل الذي يقوم عليه العمل ، ﴿ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) ﴾ أي عند الله عز وجل يقبله ويثيبهم عليه . فهذه شروط السعي المشكور وانتظمت أيضا في هذا الحديث قال ((لا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي)) هذا الإخلاص ، ((وإيماناً بي)) هذا الأصل الذي تقوم عليه الأعمال ((وتصديق رسولي)) وهذا فيه التقييد بهديه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ولزوم ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم .

قال: ((فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ)) ضامن هذا فاعل بمعنى مفعول ، ضامن أي بمعنى مضمون له هذا الأمر المبيّن في الحديث قال : ((أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ)) أي إن كان مات شهيداً في المعركة ، وهذا فيه فضل الشهادة في سبيل الله وعلو مقام الشهداء عند الله سبحانه وتعالى . ((أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ)) يعني إن قتل في المعركة في سبيل الله سبحانه وتعالى ، وهذا فيه أن هذا ضمان للشهيد أنه من حين يقتل يكون إلى الجنة .

((أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ)) يرجعه إلى أهله ((نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ)) «أو» هنا هي بمعنى الواو ، يعني يحظى بالأمرين ، ليس ينال أحدهما وإنما ينال الأمرين معا الأجر والغنيمة ، ولهذا جاء عند أبي داود وفي بعض طرق الحديث في مسلم بالواو ، وعلى هذا فإنه يرجع بالأمرين معاً الأجر والغنيمة .

قال : **وَلِمُسْلِمٍ ((مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ))** ؛ «في سبيل الله» هذه ترجع ليس للعمل الظاهر وإنما ترجع للقلب لباطن المرء ، وهذا شيء بين العبد وبين الله لا يراه الناس وإن رأوا المجاهدين وهم يلاقون الأعداء لا يستطيعون أن يميزوا من ظاهر عملهم من المجاهد في سبيل الله ومن المجاهد لدنيا مثلا يصيبها أو لشهرة يطلبها أو لعصبية يقاتل لأجلها أو نحو ذلك ، فهذا أمر في القلب لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى ولهذا قال في الحديث ((وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ)) هذا أمر لا يعلمه إلا الله . قد يقاتل الرجل في صفوف الأعداء ويبلي بلاءً وتكون منه نكايه شديدة في العدو ولا يكون في سبيل الله ، قد يكون لشهرة أو لأغراض أخرى دنية فلا يعلم المجاهد في سبيل الله من غيره إلا الله سبحانه وتعالى ، ولهذا نبه العلماء والإمام البخاري بَوَّبَ لهذا بابا في كتابه الصحيح قال «باب لا يقال فلان شهيد» لماذا ؟ لأن الله أعلم بمن يقاتل في سبيله ، لكن إذا رأينا شخصا أبلى بلاء عظيما في النكايه بالأعداء وحصل منه منفعة عظيمة وأثخن في الأعداء ثم قُتل يقال في هذه الحالة "نرجو أن يكون من الشهداء ، نحسبه من الشهداء ، نسأل الله أن يكون من الشهداء" لكن لا نجزم لا نأتي بالأمر جزما ويقينا لأن القلب ما ندري عنه ، الله هو المطلع عليه ، ولما كنا لا ندري عن القلب ولا نعلم عن حاله نقول نحسبه في ظاهر العمل ، أو نقول نرجو أو نسأل الله أن يجعله من الشهداء أو نحو ذلك من العبارات التي ليس فيها جزم ، والله تعالى يقول ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢] .

قال ((**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**)) أي كمثل الذي يقوم الليل لا ينام ويصوم النهار لا يفطر ، وذلك لأن المجاهد لا يزال في عبادة مستمرة منذ خرج ، خطواته وسيره ونومه وقومه كل هذا في سبيل الله منذ خرج من بيته فهو لا يزال في عبادة ، والعبادة التي هو فيها عبادة متعدية النفع بينما الصوم وقيام الليل عبادة قاصرة النفع ، والعبادة المتعدية النفع أعظم شأنًا وأكبر فائدة .

قال ((**وَتَوَكَّلْ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ إِنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**)) وهذا سبق إيضاحه في الرواية المتقدمة .

قال رحمه الله تعالى :

٤٠٥ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى ؛ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ)) .

هذا الحديث حديث أبي هريرة فيه عظيم الثواب للأثر الذي يترتب على الجهاد في سبيل الله ، حتى لو كان الأثر جرحًا يسيرًا ودمًا قليلًا يخرج من الإنسان فهذا فيه ثواب عظيم .
قَالَ: ((مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) الكلم: الجرح ، وهذا يتناول الجرح العميق الغائر أو حتى الجرح اليسير ((مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى ؛ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ)) يعني يأتي هذا الجرح يتضوع مسكًا ، يفوح راحة جميلة طيبة ؛ وهذا فيه إعلاء لشأنه ، تفوح منه هذه الرائحة الجميلة الطيبة يوم القيامة فيأتي لونه لون الدم لكن رائحته أطيب الروائح وأزكاها ((والريح ريح مسك)) .

قال رحمه الله تعالى :

٤٠٦ - عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((غَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .
٤٠٧ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((غَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

هذان الحديثان حديث أبي أيوب وحديث أنس رضي الله عنهما فيهما فضل الغدو والروح في سبيل الله وأنه خير من الدنيا وما عليها ، خير مما طلعت عليه الشمس ، وهما بمعنى ما تقدم في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : ((وَالرَّوْحَةُ يَرْوِحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْغَدَوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) .

قال رحمه الله تعالى :

٤٠٨ - عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ - وَذَكَرَ قِصَّةً فَقَالَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ)) قَالَهَا ثَلَاثًا.

قال : عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ - وَذَكَرَ قِصَّةً - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ)) يعني أنه هو الذي قتله ((فَلَهُ سَلْبُهُ قَالَهَا ثَلَاثًا)) صلوات الله وسلامه عليه .
«له سلبه» يعني ما كان مع ذلك المقاتل من سلاح أو مثلاً فرس أو لباس أو درع أو غير ذلك كل هذه الأشياء تكون لمن قتله ، وهذا فيه حفز للثبات في ملاقات الأعداء والصمود في دفعهم وقتالهم وعدم الانهزام والفرار .

قال رحمه الله تعالى :

٤٠٩ - عَنْ سَلْمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ ، فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثُ ثُمَّ انْقَتَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أُطْلِبُوهُ وَاقْتُلُوهُ)) فَقَتَلْتُهُ ، فَتَقَلَّنِي سَلْبُهُ . فِي رِوَايَةٍ ((فَقَالَ: مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ؟)) فَقَالُوا: ابْنُ الْأَكْوَعِ فَقَالَ: ((لَهُ سَلْبُهُ أَجْمَعُ))

ثم أورد هذا الحديث عَنْ سَلْمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) ؛ العين هو الجاسوس الذي يأتي يترقب وينظر الثغرات أو ينظر ينقل أخبار المسلمين إلى الأعداء ، والعين خطر عظيم جداً على المسلمين ، الذي يأتي ويدخل إلى أرض المسلمين ويتجسس وينظر مواقعهم يعرف أمورهم أحوالهم ثم يذهب وينقل أخبارهم إلى المشركين .

((أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرِهِ ، فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثُ ثُمَّ انْقَتَلَ)) يعني اتجه إلى الأعداء لينقل لهم الأخبار .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَطْلُبُوهُ وَاقْتُلُوهُ)) وفي بقاءه وعدم إدراكه خطر عظيم على المسلمين ، فقال عليه الصلاة والسلام اطلبوه واقتلوه ((فَقَتَلْتُهُ)) ، وسلمة بن الأكوع كان عداء لا يُسَبِّقُ رضي الله عنه وأرضاه ، وله قصص في السيرة عجيبة جداً في سبقه وسرعة عدوه رضي الله عنه وأرضاه .

قال ((أَطْلُبُوهُ وَاقْتُلُوهُ فَتَقَلَّنِي سَلْبَهُ)) أي أعطاني سلب ذلك الرجل من سلاح ومثلاً فرس ولباس ونحو ذلك.

قال : فِي رِوَايَةٍ ((فَقَالَ: مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ؟ فَقَالُوا: ابْنُ الْأَكْوَعِ فَقَالَ: لَهُ سَلْبُهُ أَجْمَعُ)).

قال رحمه الله تعالى :

٤١٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً إِلَى نَجْدٍ فَخَرَجَتْ فِيهَا فَأَصَبْنَا إِبِلًا وَغَنَمًا ، فَبَلَغَتْ سُهْمَانُنَا اثْنَيْ عَشَرَ بَعِيرًا ، وَنَقَلْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعِيرًا بَعِيرًا».

ثم أورد حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ((بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً إِلَى نَجْدٍ)) السرية هي القطعة من الجيش .

((فَخَرَجَتْ فِيهَا فَأَصَبْنَا إِبِلًا وَغَنَمًا ، فَبَلَغَتْ سُهْمَانُنَا اثْنَيْ عَشَرَ بَعِيرًا)) يعني الأسهم التي هي الغنيمة ، كلٌّ كان سهمه اثنا عشر بعيراً .

قال ((وَنَقَلْنَا أَي زِيَادَةَ عَلَى الْغَنِيمَةِ بَعِيرًا بَعِيرًا)) فأخذ كل واحد منهم سهمه من الغنيمة وكان سهم كل واحد منهم اثنا عشر بعيراً وزادهم على ذلك أن أعطى كل واحد منهم بعيراً بعيراً . وهذا يستفاد منه أن الإمام له ذلك ، يرى من المصلحة أو مثلاً من التشجيع لهم ونحو ذلك أن يعطيهم زيادة على الغنيمة بعيراً بعيراً أو نحو ذلك فله ذلك .

قال رحمه الله تعالى :

٤١١ - وَعَنْهُ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ)).

ثم أورد حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ)) وهذا فيه خطورة الغدر وعظم عقابه عند الله سبحانه وتعالى ، وأيضا ما يبوء به من خزي عظيم يوم الدين ، فإنه يُنصب لكل غادر لواء يقال هذه غدرة فلان بن فلان ويكون فضيحة له وخزي في يوم القيامة ، فهذا فيه التحذير من الغدر ، غدر المستأمن أو المعاهد أو الذمي أو غير ذلك ، فهؤلاء من يَغْدرون ويخونون الأمانة ولا يفون بعهدهم عقوبتهم عند الله سبحانه وتعالى عظيمة .

قال رحمه الله تعالى :

٤١٢ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ((أَنَّ امْرَأَةً وَجَدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً ، فَأَنْكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ)) .

وهذا الحديث فيه النهي عن قتل النساء والصبيان لأن القتال ليس لهؤلاء ، الله يقول: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠] ، أما النساء والصبيان ليسو من أهل القتال فلا يحل قتلهم أنهم ليسو أصلا من أهل القتال ، حتى أيضا الشيخ الهرم ليس من أهل القتال فلا يحل قتل النساء ولا يحل قتل الصبيان ولا يحل أيضا قتل الشيخ الهرم وإنما يقاتل المقاتلة الأعداء الذين يحملون السلاح ويقَاتِلون هؤلاء الذين يقَاتِلون .

والباب بقي فيه بقية نستكملها بإذن الله سبحانه وتعالى في لقائنا القادم وألخص فيما بقي من الوقت بعض الضوابط المهمة في الجهاد أنقلها مختصرة من كتاب لي مطبوع بعنوان «القطوف الجياد من حكم وأحكام الجهاد» أبدأها بنقل عن الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى يقول : «والجهاد له باب عظيم في مؤلفات أهل العلم يُرجع إليها وتستقرأ هذه الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويُسأل عنها أهل العلم وأهل البصيرة ، أن الجهاد أمره عظيم ، إذا نظّم وصار على ما رسمه الله عز وجل صار جهادا نافعا للأمة ، أما إذا كان فوضى وبغير علم فإنه يصبح نكسة للأمة وعلى المسلمين ، فكم يُقتل من المسلمين بسبب مغامرة جاهل أغضب الكفار وهم أقوى منه فانقضوا على المسلمين تقتيلا وتشريداً وخراباً ولا

حول ولا قوة إلا بالله ، ويسمون هذه المغامرة بالجهاد ، وهذا ليس هو الجهاد لأنه لم تتوفر شروطه ولم تتحقق أركانه ، فهو ليس جهادا وإنما هو عدوان لا يأمر الله عز وجل به . وأشير إلى جملة من الضوابط المهمة في باب الجهاد لا بد من العناية بها أشير إليها إشارة مختصرة وفي الكتاب شيء من التفصيل لها :

❖ الضابط الأول: أن يكون الجهاد مبنيا على الشرطين الذين هما أساس كل عمل صالح مقبول وهما الإخلاص لله والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم .

❖ الضابط الثاني: أن يكون الجهاد موافقا لمقصود الجهاد والغاية التي شرع من أجلها وهو أن يجاهد المسلم ليكون الدين لله ولتكون كلمة الله هي العليا ، كما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له : «الرَّجُلُ يُقَاتِلُ شِجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)).

❖ الضابط الثالث: أن يكون الجهاد بعلم وفقه في الدين ؛ وذلك أنه من أعظم العبادات وأجل الطاعات ، والعبادة لا تصلح إن لم تكن بعلم وفقه .

❖ الضابط الرابع: أن يكون الجهاد مع الرحمة للخلق والرفق بهم ، إن الجهاد ليس مشروعاً في الإسلام للتشديد على الأنفس أو الإيذاء للآخرين ، ولا ينبغي أن يفهم أن هذا من الجهاد في سبيل الله ، وقد وصف الله تعالى هذه الأمة المجاهدة فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: ((مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ)).

❖ الضابط الخامس: أن يكون الجهاد بالعدل بعيداً عن العدوان والبغي ؛ وهذا ضابط مهم

جاء الأمر به والتأكيد عليه في الجهاد في سبيل الله ، كما قال الله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا﴾ [البقرة: ١٩٠] ، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

قَوْمٍ عَلَيَّ إِلَّا تَعَدُّوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا بعث

سرية أوصاهم بتقوى الله ثم يقول : ((سِيرُوا بِاسْمِ اللَّهِ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ،

وَلَا تَمْتَلُوا ، وَلَا تَعْدِرُوا ، وَلَا تَعْلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا)) ، ولهذا جاءت أيضا الشريعة بالنهي

عن قتل النساء والصبيان والشيوخ الفانين والعميان والراهب في كنيسته ، كل هؤلاء جاء النهي عن قتالهم لأن الجهاد إنما يكون بالعدل بعيدا عن العدوان والبغي .

❖ الضابط السادس: أن يكون الجهاد مع إمام المسلمين أو بإذنه برًا كان أو فاجرا ، وهذا من الضوابط المهمة ولهذا جاء في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ أَمَرَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ وِزْرًا)) ، وجاء في هذا المعنى أحاديث ، وأيضا مما يدل على ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيْتَةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا)) .

❖ الأمر السابع: أن يكون الجهاد في سبيل الله بحسب حال المسلمين من القوة والضعف ؛ فإن الأحوال تختلف زمانا ومكانا والجهاد في سبيل الله قد شرع في الإسلام على مراحل ، ولهذا يقول شيخ الإسلام : «فمن كان من المؤمنين بأرضٍ هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين» . فيراعى في الجهاد أحوال المسلمين قد يكونون في بعض أحوالهم لا قدرة لهم على مجابهة الأعداء فيقابلون أذى الأعداء بالصفح حتى يقويهم الله سبحانه وتعالى ويمكنهم من قتال الكفار .

❖ أيضا من الضوابط في الجهاد: إذن الأبوبن ، وقد جاء في هذا أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

❖ كذلك من الضوابط: أن يكون الجهاد مؤديًا إلى مصلحة راجحة وأن لا يترتب عليه مفسدة أعظم ، وذلك لأن الجهاد بجميع صورته إنما شرع لما فيه من تحقيق المصالح ودفْع المفسد عن الإسلام والمسلمين أفرادًا وجماعات، ولهذا يقول ابن تيمية : «وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مَا كَانَ أَطْوَعَ لِلرَّبِّ وَأَنْفَعَ لِلْعَبْدِ ، فَإِذَا كَانَ يَضُرُّهُ وَيَمْنَعُهُ مِمَّا هُوَ أَنْفَعُ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ صَالِحًا» .

وبالجملة فإن تحكيم الكتاب والسنة في كل صغيرة وكبيرة هو أهم ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في هذا الباب ، وأن يكون في معتقده صحيح المعتقد ، وفي نيته صاحب نية خالصة ، وفي توكله صادق التوكل ، وفي طريقته متبعًا لهدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه . سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه .